

# الحرية بدل فرونتكس

لا ديمقراطية دون حرية الحركة العالمية

يشع حراك الربيع العربي على العالم كله. إن حركية الإنتفاضات في المغرب العربي تعطينا شجاعة و أملا، ليس فقط من أجل طردها للأنظمة الطاغوتية التي كانت تظهر إلى وقت قريب أنه لا يمكن غلبتها. بل إن التطورات تبقى مفتوحة على شاكلة لعبة الدومينو لثورة الياسمين التونسية و التي و بسرعة إلتقاط النفس تفر بعودة المعرفة القديمة التي تفيد بأن التاريخ يصنع من تحت. يتركز النضال على الفقر اليومي كما أيضا ضد الإستبداد، إنه و بالتساوي على تحسين الظروف المعيشية و الكرامة، بياجاز: حول "الخبز و الورود".

تقوم الأيام المذهلة في ساحة التحرير بالقاهرة على البحث في أشكال للتنظم الذاتي و الديمقراطية الأساسية. إن طلبات المساوات في الحقوق، الإستقلالية و المشاركة في الرفاه الإقتصادي تنعكس أيضا في القوارب المتجهة صوب أوروبا: الآتية الآن من تونس و منذ سنين من شمال و غرب إفريقيا. "Exit" الأخذ بزمام حرية الحركة و القيام بالهجرة من أجل إيجاد حياة أخرى أفضل، و "Voice" رفع الصوت لقيادة النضال عبر الموقع لا يعتبران نقيضين بل هما يعبران عن علاقات حيوية متغيرة.

لقد عبرت عن ذلك - بوضوح- التغييرات التي حصلت سنة 1989. التصويت بالأقدام أجم أنذاك الحركات الإحتجاجية ضد الإشتراكية الواقعية للنظام الإستبدادي. لقد سقط الجدار لأن الناس فرضوا حرية الحركة. لقد تظهر اليوم مرة أخرى حرية البلاغة الكاذبة للساسمة الغربيين حيال حركات الهجرة و حول شمال إفريقيا حيث أنهم إجتهدوا بجلب سيناريو التهديد بالطوفان عبر وكالة حماية الحدود الأوروبية Frontex.

لقد توددت الأنظمة الأوروبية و ساندت حكام شمال إفريقيا و ترددت في الأسابيع الأخيرة حتى كبحت تصرفاتها في مواجهة الحركات المنتفضة. إن خلفية ذلك تتمثل في المصالح الإقتصادية القوية، و لكن أيضا في التعاون المتزايد في مراقبة الهجرة. هكذا يصبح الطغاة "حلفاء" معتبرين بقدر نجاعتهم في القيام بدور كلب الحراسة لنظام الحدود الأروبي المتقدم. يجب و في كل الحالات كبح حركات الهجرة من إفريقيا.

لم تعد آلاف حالات الموت و المعانات مقتصرة على البحر بل إجتازتها إلى الصحاري و مواقع الإعتقال و ذلك نتيجة هذا النواطي المخزي. إنه يقع تعقب المهاجرين من جنوب الصحراء و الذين هم الآن ضحايا محرقة في ليبيا و قد سلبهم نظام القذافي و منذ سنين حقوقهم و ذلك بشكل منظم مع التعسف و سوء المعاملة. لقد دفع الإتحاد الأروبي الملايين للطاغية الليبي و سلمه تقنيات المراقبة، و هناك تعاون مماثل مع صاحب السلطة في المغرب، و أيضا إلى وقت قريب مع النظام التونسي. إن الثورات العربية الآن تضع علامات إمكانية فشل مشروع الفصل الشرس للإتحاد الأروبي في البحر المتوسط.

إن إستهداف وسائل الإعلام لمخاوف إمكانية إنهيار مراقبة الهجرة سيفاقم الوضع و سيشرع لعسكرة أنزمة الحدود الأروبية و الممثلة في Frontex. إن وكالة حماية الحدود الأروبية تكمل و توسع أنزمة الرقابة التي تستهدف منذ عشرات السنين حركات الهجرة بالتجريم و الردع. ينبغي على Frontex - كما الحال في سواحل غرب إفريقيا أو على الحدود اليونانية-التركية - تعزيزها للإستخدام أمام شمال إفريقيا.

تتحصل إيطاليا على الصدارة في هذه "عملية هرمس". يترتب على ذلك و بصدق صدمة: نتيجة تعانق القذافي و برلسكوني حصل في السنين الأخيرة عدد لا يحصى من التراجعات غير المناسبة في البحر المتوسط و الدولة الإيطالية أثبتت أنها تنظم و تتزعم عدم احترام كل معاهدات اللجوء. و ليس من الصدفة أن يجرم كل من ينقذ حياة المهاجرين عبر القوارب. هذا ما تظهره حالات Cap Anamur أو صيادو السمك التونسيون حيث مقاضاتهم على الدوام.

المهاجرون يبحثون على الحماية أو على حياة أفضل في أوروبا. يهاجرون للفجوة في مصادر الثروة، و التي تسببت فيها بوضوح سيطرة الإستعمار الحديث و علاقات الإستغلال بين إفريقيا و أوروبا. إن التطلع العالمي للحرية و الديمقراطية يجب أن يسود التعامل في أوروبا مع الذين هم على الطريق في اتجاه الهجرة و المطالبة بنفس الحقوق. تقوم Frontex على توسيع نظام حدود قاتل و الذي ليس له مكان في عالم حر. الموت على الحدود الخارجية يمكن أن تصبح غدا من التاريخ. لكن الأمر ليس مرغوبا سياسيا. بالمقابل يفقد المسؤولون الأوروبيون حربا معلنة على الحدود الخارجية.

إن إنتزاع الحقوق و الطرد في وسط الإتحاد الأروبي أمر متداول عبر "الإندماج" و يستعمل كوسيلة ضغط للتكيف و الإستغلال في مجالات محدودة الدخل. إن هذا التماشي المنتقي للهجرة مواجه بمقاومات و صمود لتحدي هذا النظام غير

المتساوي و المنافي للحرية. ليس من الصدفة أن نجد في هذا الزمن المتحرك إضراب جوع مأساوي في اليونان لما يقارب 300 مهاجر مغاربي من أجل تفتين وضعيتهم. و أيضا البروز للعلن عبر وميض نضال من أجل البقاء و إضرابات مهاجرين في كامل أوروبا منذ 15 سنة في باريس مع "sans papiers" و خاصة من إفريقيا بالمطالبة "الأوراق للجميع".

يوضح الإنتقاص في شمال إفريقيا ما هو ممكن. ليس الأمر بأقل من أوروبا جديدة، إفريقيا جديدة، عالم عربي جديد. إنها فضاءات جديدة للحرية و المساوات و التي تتطور في نضال دولي: في تونس و القاهرة أو بنغازي و بالمثل في أوروبا و حركات الهجرة التي تعم كلتا القارتين.

8 مارس 2011

*Afrique-Europe-Interact*

*Welcome to Europe*

*Netzwerk Kritische Migrations- und Grenzregimeforschung*